Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعركة ، ولو كان قد صح ما أشيع أن الرسول قد قُتل ، يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْه فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

إلى أن يقـــــول : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِىٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾(٢)

إن خير من يمثل هذا النوع من الصبر فى القرآن : طالوت والقلة المؤمنة معه من جنوده ، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، على عدد أهل بدر .

ولقد عقد طالوت لجنوده امتحاناً فى بادىء الأمر ليختبر صبرهم ، فقال لهم : ﴿ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِه ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ (٣) .

هذه القلة التى نفذت الأمر ، وأبت أن تشرب الماء وهى ظمأى إلا غرفة باليد ، هى التى نجحت فى الامتحان ، وتبين صبرها عند الشدة . وهى التى اجتازت النهر مع طالوت : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِه (أى لكثرة عددهم وعدتهم) ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا اللّهَ (أى من هؤلاء المؤمنين) كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ ، واللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِه قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤) . طلبوا أولا أن يمنحهم الله الصبر ، لأنه سبيل النصر . ومن روعة التعبير هنا أنهم لم يسألوا الله أى قدر من الصبر ، بل سألوه أن يُفرغه عليهم إفراغاً ، أى يَصبُّه عليـــهم صباً ، كأنه ماء يُفرغ عليهم ليتطهروا به ويغتسلوا .

وكانت العـــاقبة انتصار القلة المؤمنة الصابرة على الكثرة الطـاغية الكـافرة : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ ، وقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ﴾ (٥) . .

* * *

(١) آل عمران : ١٤٤ . (٢) آل عمران : ١٤٦ . (٣) البقرة : ٢٤٩ .
(٤) البقرة : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ . (٥) البقرة : ٢٥١ .